مفهوم الفلسفة السياسية عند ايمانويل كانط

د. يسار احمد
الجامعة العراقية / كلية الآداب

الملخص

أن كانط قد صنع تغييراً جوهرياً في الفلسفة العقلية والمناهج النظرية العلمية، وفلسفة الاخلاق، وعلم الجمال من خلال ما قدمه من نتاج معرفي في كتب النقد الثلاثة، علما أنه لم يغفل عن البحث والمناقشة في السياسة والتاريخ وصولاً للمجتمع برمته[١]، لقد اهتم كانط بالفكر السياسي وصيغ بناء المجتمع وانظمته الفكرية بصورة كبيرة من خلال المفاهيم والمتغيرات السياسية بين النظري والواقع، وقد انشغل بدراسة افكار (روسو)[٢] وموضوع الحقوق الطبيعية، وقد كان هذا ظاهراً خلال حياته الجامعية وبعد ذلك شرع كانط بتدريس نظرية الحق واستمرت اهتماماته السياسية إلى فترة ليست بالقصيرة.

Abstract

Kanat made an essential change in the philosophy of mind and the scientific theoretical curricula and the philosophy of ethics and the science of beauty by what he presented in his three books dealing with criticism. And he also tackled researching and discussion with reference to politics, history and reaching out to the whole society. Kanat was interested in the political thought and the mechanism of building the society and its intellectual systems in a very great way through concepts and political variables between theory and reality. Besides, he was busy in studying "Roso's" thoughts and the subject of natural rights and this was very clear during his life in university. After that, he started teaching the theory of justice and his interests with regard to politics did not last for a short period of time.

رؤية كانط للفلسفة السياسية :

ولد المفكر ايمانويل كانط في مدينة كونيجسبرغ في بروسيا الشرقية، في أسرة شديدة التدين ولم يتزوج البتة، درس في جامعتها وتوظف فيها، وبالرغم من الجو الأكاديمي الذي لم يبارحه كانط إلا أنه عاش أيام الثورة الفرنسية واضطر اباتها، وحكم نابليون، واحتلال الروس لبروسيا وقد اطلع على روسو وهيوم، واثر هيوم فيه في تخلصه من بعض الدوغمانيات، وكذلك قرأ لروسو (أميل) وكان حينها قد انبهر بأسلوبه وكان ليبرالياً في السياسة والدين معاً[٣]، تعاطف مع الثورة الفرنسية وكان مؤمنا بالديمقراطية، وقد كانت اعماله المبكرة أكثر ميلاً للعلم من الفلسفة، فأصدر نظريته السديمية، التي تفترض وجود غيمة سديمية كانت الاصل في نشوء الكواكب والاجرام كما تصور وجود عالم أكبر من مجرتنا التي نحن فيها ومن أهم انتاجاته (نقد العقل المجرد ١٧٨١) و(ميتافيزيقا الاخلاق ١٧٨٥) و (نقد العقل العلمي ١٧٨٦) ويعد كتابه (مشروع السلام الدائم) من أهم الاصدارات التي قدمها كانط في الفلسفة السياسية وكان ذلك عام ١٩٧٥، هنالك رأي يقدمه مجموعة كبيرة من الفلاسفة والمفكرون من خلال متابعة المسيرة التأريخية يقول بأن كانط كان أحد افضل ثلاثة فلاسفة مؤسسين وكذلك كان قد شطر كانط الفلسفة إلى شطرين ما قبل كانط وما بعد كانط، وذلك بما قدمه من منهاج نقدي واطروحات للنظم الفلسفية، وبحسب رأينا المتواضع أن كانط قد صنع تغييراً جوهرياً في الفلسفة العقلية والمناهج النظرية العلمية، وفلسفة الاخلاق، وعلم الجمال من خلال ما قدمه من نتاج معرفي في كتب النقد الثلاثة، علما أنه لم يغفل عن البحث والمناقشة في السياسة والتاريخ وصولاً للمجتمع برمته[٤]، لقد اهتم كانط بالفكر السياسي وصيغ بناء المجتمع وانظمته الفكرية بصورة كبيرة من خلال المفاهيم والمتغيرات السياسية بين النظري والواقع، وقد انشغل بدراسة افكار (روسو)[٥] وموضوع الحقوق الطبيعية، وقد كان هذا ظاهراً خلال حياته الجامعية وبعد ذلك شرع كانط بتدريس نظرية الحق واستمرت اهتماماته السياسية إلى فترة ليست بالقصيرة.

إذ بدأت افكار وابحاث كانط الفلسفية تستوعب المعاني والافكار السياسية[٦]، والتعاليم الحديثة والعلمية الناجحة، على صعيدي المجتمع والسياسة، ولا شك في أن

الوقوف على فلسفة كانط ليس هيناً حيث أنه اتمثل رصيداً قوياً وكبيراً وملهما للفلسفة السياسية المعاصرة، إذ أن افكاره أصبحت محور التطبيق الاممي الواقعي في صناعة حاضر ومستقبل البشرية، وعند البحث في الفلسفة السياسية عند كانط لابد أن يكون الالتفات حاضر لفلسفته النظرية ونظرياته في الاخلاق والتاريخ وعلم الانسان وعلم الجمال، ولا يتحقق الادراك الكامل لفلسفة كانط السياسية إلا من خلال الانفتاح على سائر حلقات فلسفته النقدية الاخرى المترابطة، وكذلك نحتاج إلى تحليل ودراسة الفلسفة السياسية عن كانط على اساس ارضية مشتركة وبقيود الظروف الزمانية والمكانية.

ان الفلسفة السياسية عند كانط تكون مبنية على فلسفة التاريخ والقانون وما يرتبط بفلسفة التاريخ كدور للإنسان والطبيعة وآثارها، لذلك نرى أن كانط يعرض رؤيا السياسة اما بواسطة القانون وما يعممه من خلال هذا القانون على مستوى الامم الانسانية او من خلال فلسفة التاريخ، وان فلسفة التاريخ عند كانط هي فلسفة (الحتمية – التقدم) والمفهوم منها رؤيته في وجود ضرورة تأريخية تحكمها الطبيعة او القدر او العناية، وعلى الانسان ان يتلاءم معها من اجل تحقيق تقدمه[٧]، وباء مجده، وتسعى فلسفته في التاريخ، إلى التغلب على الانفصال بين الاخلاق والسياسة، وواجبها ان تشير إلى التقدم نحو النظام القانوني إذ انه وسيلة ذلك الاندماج المرتب بين السياسة والاخلاق، وبذلك سنرى ان كانط يؤمن بمشروع للجنس البشري، يحققه الائتلاف مع الطبيعة، وهذا المشروع يتطلب ان تكون الارادة الانسانية العاقلة الواعية هي التي تشكله وتحققه.

وعلى هذا فاننا نرى هدف كانط في دراسته الفلسفية الخاصة يقوم برسم اطر التنظيم التاريخي العالمي قائم على اساس مشروع الطبيعة الهادف إلى تحقيق وحدة مدنية كاملة للإنسان بصفتها امكان بل وحتى كقابلية على توسيع هدف الطبيعة نفسها، ويرى كانط غرابة وبطلان النظرية التي تقول[٨] (ان التاريخ مكتوب على اساس فكرة ما، لذلك كيف يمكن ان تقع حوادث التاريخ لتحقيق اهداف معينة).

ونجد كانط في مكان آخر يلمح إلى جبهة تأريخ المستقبل، بمؤشرات تعطي آمال أكبر ويقول بأن الطبيعة[٩] (تفتح آفاق مستقبلية ممتعة تكشف لنا كيف ستبلغ البشرية مرحلة تتنامى فيها تماماً جميع الاصول والمبادئ التي توضع من قبل الطبيعة ويتحقق

فيها مصير الانسان وتقديره على الارض)، وقد عمل كانط من خلال فلسفة التاريخ كبوابة لفلسفته السياسية إلا أنه في فلسفة التاريخ، يريد أن يسير تاريخ حياة البشرية لصالح الانسان ويعمل على تحسين اوضاعه، شريطة أن لا يلقي الانسان الذنب على عاتق التقدير في مواجهته للشرور والاهوال وان لا يتهم المسيرة التاريخية السابقة بالفشل والتسبب بمجموعة مشاكل متوفرة في الحاضر الموجود به، فعليه أن يتعامل مع جميع الأوضاع المعقدة التي تمر عليه، وان يصحح ذلك من خلال استخدام جديد وخاص للعقل، فتاريخ الانسان يتجه نحو النمو والتكامل تدريجياً، ولذلك تعد نقطة بداية الحركة أسوأ الاوضاع لكنه يعمل على تحسين الاوضاع من خلال عملية تدريجية تتجه إلى الامام وعن طريق استخدام فاعل للعقل وزج كافة قواه وطاقته[١٠].

المناقشة: مناقشة أفكاره الفلسفية السياسية:

يرفض كانط الآراء السياسية التي ذهب إليها هوبزولوك[١١]، وشيء من روسو في العقد الاجتماعي، ويرى كانط ان الحالة السياسية أو المدنية هي تلك العلاقة بين افراد شعب من الشعوب، ومجموع الافراد فيها إلى كل فرد آخر يسمى دولة وتسمى الدولة لديه "بالشأن العام" إذا نظر إلى شكلها، من حيث انها تمثل مصلحة مشتركة للجميع في اطار قانوني، وتسمى "القوة" في حال علاقتها مع الشعوب الاخرى، وعلى ضوء ذلك نصل إلى تعريف كانط للدولة بأنها توحيد كثرة من الناس تحت قوانين شرعية بحيث تكون هذه القوانين ضرورية قبلية، أي أنها صادرة طبيعياً عن مفهومات القانون الخارجي (أي الحرية والمساواة والاستقلال القانوني، ومثلما مقصور بها شكل عام، ولا يغيب عن الذهن ما اشار إليه كانط إلى أن النظام السياسي الذي يتمثل بالدولة تعتمد على ثلاث سلطات في داخلها (السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية) [١٢] تقوم الدولة الكانطية على اساس الاخلاق الواجبة او المسؤولة، ولا تنسجم مع المصلحية التي تنظر إلى نتائج الاعمال ولا تقوم على المبادئ والاصول القبلية.

لذلك نستطيع أن نحكم طبقاً للفلسفة السياسية الكانطية بأنه لا يوجد أي تناقض أو تعارض بين الاخلاق والسياسة، لأننا نستطيع العمل بالقوانين الاخلاقية، فالأخلاق تنسجم مع السياسة على اساس الواجب.

ومن الجدير بالذكر أن وجهة نظر كانط حول النظام السياسي الحقيقي الذي لا يمكنه ان يخطو خطوات يكن الدفاع عنا من دون تكريم الاخلاق والاستناد إليها، فالسياسة بحد ذاتها فن معقد، لكنها لا تزدان من دون الاخلاق بأي زينة أخرى، ولا بد أن تنسجم الاختيارات السياسية في عملية اختيار القرار مع تعاليم العقل العلمي(١٣).

ولا بد من الإشارة إلى أن الفلسفة السياسية الكانطية، متأثرة بالتنوير ومؤثرة عليه كذلك، فقد كان عصر التنوير مشفوعاً بتغيرات اساسية في حقول السياسة والفن والفلسفة والعلم وقد وضع مفكر التنوير على اساس الحرية، وماهية العلم والافكار الانسانية(١٤).

وقد أصبح كانط رائداً لمفكري وفلاسفة عصر التنوير من خلال أفكاره السياسية ولا سيما إيمانه بحرية الفرد واستقلاله أمام الحكومة، ولذلك استحق أن يلقب "بفيلسوف الثورة الفرنسية"(١٥).

وبالحقيقة يدور التنوير حول مدار الانسانية، وهذا السبيل الذي يعتقد به كانط وكذلك الحرية ومساحتها والعقلانية والتفكير الذاتي والانبعاث الذاتي، وتهذيب الدين ورفض الاستبداد السياسي وكذلك رفض القيمومة الكنائسية هذا من جهة ومن جهة أخرى يفتح التنوير الطريق بوجه القانونية والمجتمع المدني، والحوكمة الديمقراطية، على أساس العقد الاجتماعي، لقد أثرت الأحداث التي عاصرت حياة كانط كثيرً في أدائه(١٦)، فأن نسيم رياح الثورات في أوربا وكان قد استنشقه كانط كأفكار في ذهنه، فالثورة الفرنسية والحركات التحريرية الأخرى ونشاطات الشعوب في تغيير أوضاعها كان لها وقعها في داخل ما يفكر فيه كانط، لذلك يستطيع أن يجد المتابع السياسي بأن هنالك تفاوت بين درجات ثبات المنهاج السياسي لدى كانط، وهذا موجود من خلال التأثير القوي في الأحداث التي شهدتها أوربا خلال القرن الثامن عشر.

وبطرحه هذه نقطة تحسب لكانط وذلك بسبب لابد أن يكون الفيلسوف السياسي حاضر بالمعنى الدقيق والحقيقي في عصره، مؤثراً به ومتأثراً بشكل طبيعي مما يحقق له حالة من الصلات الحيوية.

في الفلسفة السياسية الكانطية يسمح الانسجام بين التي يتفق عليها المصوتون بين قوانين الحرية للطبيعة المتماثلة والمتناغمة مع حرية جميع افراد المجتمع، لكل فرد

بالانتقال من الوضع المنفعل إلى الوضع الفاعل، وعلى هذه الحقوق للذات الانسانية كمفهوم عام، يرى كانط أن صاحب الحق في التشريع هو ارادة الشعب "لأن الشعب لا يمكن أن يضر بنفسه، بينما الفرد الواحد حين يشرع لغيره، قد يضر بهذا الغير، ولا أحد يريد الاذى لنفسه، فالشعب إذا شرع لا يريد الأذى لنفسه"[١٧].

ويربط كانط هذا الطلب بتأسيس الجماعة السياسية الاخلاقية ولأجل أن نحقق حالة ايجابية للنظرية السياسية التي كان يعتقد بها كانط لابد من التفاف غطاء التنوير على الجماعة أو المشروع السياسي الاخلاقي لذلك[١٨] "على كل الأفراد أن يكونوا خاضعين إلى تشريع عمومي، وينبغي أن يكون من الممكن أن ينظر إلى كل القوانين التي تربط بينهم باعتبارها أوامر ووصايا من مشروع عام للجماعة، فإذا كانت الجماعة التي يراد تأسيسها جماعة حقوقية: فإن الجهور ذاته، الذي اتحد في كل واحد هو الذي سوف ينبغي أن يكون المشرع لقوانين الدستور"، علماً أن كانط يعتقد أن الجماعة الاخلاقية لا يمكن تصورها إلا بوصفها جماعة تحت أوامر الهية بمعنى كونها شعب الله الموافق لطبيعة الفضيلة[١٩].

على الرغم مما تقدم أرى وبتواضع أن فيلسوفنا السياسي كانط سعى لانزال[٢٠] الديمقراطية بهدوء من السماء إلى الأرض لكن بصورتها الخيرية العامة، واننا نجد ذلك من خلال الفلسفة السياسية الاخلاقية والسياسية الكانطية، حيث يقول كانط[٢١] "تستوعب الحكومة المدنية القائمة على أساس التصورات القبلية للعقل العملي، أي الحرية والمساواة والاستقلال للناس والرعايا والمواطنين، الذين يتمتع كل فرد منهم بـ: الحرية في اطار القانون كانسان، والمساواة امام القانون كرعية، والتقنين كمواطن".

ووصولاً للمدنية التي يتكلم عنها كانط والحكومة المدنية وما يخصها أن الحكومة المدنية لا يحث لها أن تتدخل في سعادة الأخرين واخلاقهم ودينهم، وانما منفذة للقانون فقط، وهي حافظة للتوازن والانسجام في المجتمع لأجل تأمين حريات الأفراد فيه، لأن المواطن الجيد ليس عليه أن يكون جيداً اخلاقياً وانما أن يعيش وفق قوانين المجتمع.

كما ذكرنا سابقاً بأن الفكر السياسي الكانطي، يعد تأسيس[٢٢] المجتمع المدني قائم على أساس القانون الأساسي الديمقراطي الذي يناغم مع قوانين الحرية، وكان موقف

كانط ناقداً للديمقراطية المباشرة ومؤيد الحكومة الديمقراطية وهذا العنوان مقصود به الديمقراطية النيابية فيكون النظام على أساس الديمقراطية النيابية، وهذا يعني أن يشارك الشعب كمواطنين في النظام الديمقراطي النيابي –في السلطة التشريعية– عن طريق ممثلية في هذه السلطة فالديمقراطية النيابية هي الاس الآخر للنظام الجمهوري[٢٣].

فالنظام الجمهوري حسب القراءة الكانطية يتميز بخصوصيتين، الأولى: هي استقلال السلطات الثلاث وعدم التداخل بين أعمالها، الثانية: هي الديمقراطية القائمة على التمثيل غير المباشر، ويؤكد كانط في فلسفته السياسية على انتخابية السلطة المقننة قبل أي شيء آخر هذا النموذج للحكومة المدنية الكانطية، ليس نظاماً استبدادياً[٢٤] ولا حكومة مهزوزة وضعيفة، فالحكومة المدنية التي تتجسد في النظام الجمهوري لابد أن تكون قانونية وقوية أيضاً ولربما تتأسس الحكومة المدنية على اساس العقد الأصلي، وهنالك إمكان أن تظهر سلطة سياسية في بادئ الأمر ثم تقييم هذه السلطة النظام والقانون، وأن تعاميم كانط في الحالتين قائمة على ضرورة أن يطيع المواطنون الحكومة المدنية من دون تلكؤ، ومن الممكن لمواطني الحكومة المدنية التعبير عن معارضتهم لقرارات وأعمال الحكام غير المقبولة، أو تقديم شكوى ضدهم على أساس القانون، لكن لا يجوز لهم في التمرد والعصيان، حسب ما يراه كانط.

عندما نتكلم عن أنظمة الحكم لدى كانط فأننا بالتأكيد نشخص رفض كانط تصورات افلاطون لحكم الفلسفة (سياسياً) أي أن يكون الفلاسفة حاكمون وليس حلماء فقط، يقول كانط لا رجاء في أن يصبح الملوك فلاسفة أو الفلاسفة ملوكاً، وما ينبغي أن يكون ذلك مأمولاً، لأن ولاية السلطة من شأنها أن تفسد حكم العقل، وأن تقضي على حريته قضاء لا مرد له، ولكن الملوك أو الشعوب المالكة (التي تحكم نفسها طبقاً لقوانين المساواة) لا ترضى بأن تنقرض طبقة الفلاسفة أ أن تلتزم الصمت، فلا يسمع لها صوت، بل تدع لها حرية الجهر بأرائها والتعبير عنها بصراحة، وهذا أمر لا غنى للملوك ولا للشعوب عنه، لأن فيه ابانة لشؤونهم وهداية لسبلهم، المقصود من هذا الكلام أن دور الفيلسوف هو البقاء بعين المتابعة والنقد والمراقبة والتقويم والرأي والمشورة وليس الاحكام التنفيذية، إن كانط يقدم لنا ثلاث أشكال من أنظمة الحكم هي[٢٥]:

أولاً: النظام الأوتوقراطي: وهو حكم الشخص الفرد.

ثانياً: النظام الارستقراطي: وهو أن تكون السلطة العليا بيد عدد قليل من المواطنين.

ثالثاً: النظام الديمقراطي: وفيه يسود الجميع على الجميع ويتمتعون بحياتهم الكاملة.

إن الشكل المفضل عند كانط في نطاق الأنظمة، هو حل النظام الجمهوري فهو "الشكل العقلي للدولة" إذ هو الباقي وحده مهما تعاقب الأشخاص، ولا يتوقف على شخص بعينه، بل يطل هو الغاية من كل قانون عام، ويتميز النظام الجمهوري بخاصيتين يميل لهما كانط وهما:

١. **الفصل بين السلطات.**

٢. **التمثيل الانتخابي.**

وهذا ما يكون مغايراً للأنظمة التي ذكرناها التي غالباً ما تكون فيها سيطرة للفرد أو القلة أو الكثرة، فيتصورون انفسهم سادة على غيرهم، ويصنعوا استبداداً جديداً، لذلك لا يمكن أن تكون صالحة.

وتأكيداً لما سبق كمضمون نجد كانط يقول[٢٦] "نستطيع إذاً أن نقرر أنه كلما قل عدد الأشخاص المتولين للسلطة السياسية (عدد الحكام)، وكلما عظم تمثيلهم، اقترب النظام السياسي من النظام الجمهوري، وأصبح هنالك أمل في أن يسمو إليه أخيراً بإصلاحات متتابعة، فلهذا السبب كان الوصول إلى ذلك النظام التشريعي، وهو وحده التشريع الكامل، أصعب في الارستقراطية منه في الملكية، أما في الديمقراطية فلا سبيل إلى بلوغه إلا بثورة طاغية، ولكي يكون نظام الحكم مطابقاً لفكرة الحق ينبغي أن يكون تمثيلياً، لأن هذا النظام وحده هو الذي يتيسر أن تقوم في ظله حكومة جمهورية"[٢٧].

وهذا يعني أن النظام السياسي كلما قل فيه عدد الحاكمين وكبر تمثيلهم للشعب كان جمهورياً، بعد الأخذ بنظر الاعتبار لمبدأ فصل السلطات.

لقد تكلم كانط عن موضوع يمثل مشروعه السياسي وهو "السلام الدائم" فالإنسان بطبعه مدني، وهو دائماً عضواً في مجتمع، وينبغي كما يرى كانط أن لا يكون هذا المجتمع همجياً أو على بداوته الأولى، لابد أن يكون منظماً لمجتمعه ولنفسه تنظيماً يجعل كل فرد فيه قادر على ممارسة حريته وتحقيق غاياته الاخلاقية ومبادئ القانون

والتشريع هي الكفيلة لذلك التنظيم، لكن الحرية ستبقى مهددة مهما بلغ التنظيم مبلغه، لأن العالم ليس حكومة واحدة أو أمة واحدة، وبما أن بعض هذه الأمم لا زالت تستعمل الإكراه في العلاقات السياسية الخارجية والإقليمية مع غيرها، لذلك سوف يكون حال المجتمع المدني وديمومته دائما ما يكون مهدداً، وعليه كانت قوانين الشعوب ومعاهدات السلام فيصلاً في تحديد استراتيجيات السلام والأمن.

لذلك نرى أن كانط قد قدم مشروع معاكساً لفكرة الحرب أسماه (مشروع السلام الدائم) فهو يعتقد أننا لو سلمنا لمعطيات ومتطلبات العقل يجب أن ندين الحرب ادانة تامة وكاملة، ولا يمكن أن نمنع الحرب إلا بحكومة دولية فقط، وبهذا فهو يدعو اتحاد يمثل كل العالم أو على مستوى العالم، يصنع دولاً لها قرار حر وترتبط فيما بينها بميثاق ينص تحريم الحرب.

من الملاحظ أن مشروع السلام الدائم وكيفية طرحه من قبل كانط كان يحمل شيء كبير من الجرأة، فهو يتضمن أفكار كبيرة عن السلام وكذلك أفكار ثورية وبناءه لشخصية فلسفية يمكن أن تكون أفكاره ومشاريعه محط اهتمام مفكري العالم أجمع، فهي إحدى الصور المتمثلة حالياً في الواقع من المنظمات والهيئات الأممية المتحدة، لذلك يعد مشروع السلام الدائم من أهم المشاريع في الحقوق والثوابت الأخلاقية السياسية الانسانية وأكملها في النظام العالمي، وكذلك يعد أكثر الآثار السياسية انتظاماً على صعيد الفلسفة السياسية فقد طرح كانط في بداية (مشروع السلام الدائم) ستة شروط أو فقرات لاستمرار نجاح المشروع وديمومة بقائه[٢٨].

١. لا تعتبر ولا تحترم أي معاهدة من معاهدات السلام إذا انطوت نية عاقديها على إثارة الحرب من جديد.
٢. لا يجوز تملك دولة لدولة أخرى، صغيرة كانت أم كبيرة سواء عن طريق الميراث أو التبادل أو الشراء أو الهبة.
٣. الغاء الجيوش الدائمة على مر الزمان لأنها تهدد السلام الدائم.
٤. لا تمنح القروض الوطنية من أجل منازعات خارجية دولية لأنها ستؤدي إلى تيسير امور الحرب وكذلك تجعل بالإفلاس.

٥. لا يجوز لأي دولة أن تتدخل بالقوة في نظام دولة أخرى أو في حكومتها.
٦. لا يسمح لأي دولة في حرب مع أخرى أن ترتكب أعمالاً عدائية.

وكذلك أضاف كانط بعض الفقرات الإيجابية التي تدعم المشروع ونجاحه:

١. يجب أن يكون الدستور المدني لكل دولة دستوراً جمهورياً بمعنى أن من يقرر الحرب هو السلطة التشريعية التي تمثل الشعب وهذا النوع من الحكومات هو الأنسب لاستتباب السلام.
٢. يجب أن يقوم قانون الشعب أو القانون الدولي العام على التحالف بين الدول الحرة والقصد منه جمع شمل الدول الحرة في تحالف سلمي.
٣. يجب أن يكون حق النزيل الأجنبي من حيث التشريع العالمي مقصور على إكرام مثواه.

هذا ما ذهب إليه كانط في مشروعه الدائم للسلام، الذي حاول فيه تقديم لبنات مشروع أممي للسلام ومحطات ألا للحرب، بل ليس السلام فحسب وإنما استمرارية السلام واتفاقياته والاشارة إلى التحالف السلمي بغية التوصل إلى الخير الأسمى المنشود.

الخاتمة

من الجدير بالذكر أن نشخص ونفهم الفلسفة السياسية الكانطية، وعلى أساس فلسفته النظرية الاخلاقية، تتمتع آراء كانط وتعاليمه في حقل السياسية برصيد فلسفي ضخم، ولم تكن هذه الآراء مجموعة من النصائح والإرشادات التي تعلم الحاكم طريقة الحكم والإدارة وقيادة شؤون البلاد، على غرار الحاكم السياسي الميكافيلي، ومن جانب آخر فإن الفلسفة السياسية الكانطية لم تكن مثل جزيرة نائية عن بلاد فلسفته النقدية والأخلاقية، وإنما هي جزء من تلك البلاد، وجميعها ذات مصدر واحد بل انها روح واحدة في عدة أجساد، ويعد الرصد الفلسفي والأخلاقي للأفكار السياسية الكانطية، من اعظم دعائم القوة لهذه الأفكار ورسوخها[٢٩].

من خلال سير البحث تبين أن الفلسفة السياسية الكانطية يجب أن تشخص وتفهم على أساس فلسفة النظرية الأخلاقية، إذ ويجب أن نلاحظ أن فلسفة كانط السياسية، تعاني من تعارض داخلي يمكن أن يظهر في حالتين، التناقضات والمفارقات، ومن جانب آخر تعاني هذه الفلسفة في بعض الأحيان من التأثيرات التأريخية، وقد أثر عنصر الزمان والمكان على تعاليم كانط السياسية في بعض الأحيان إلى درجة بحيث خرجت عن شموليتها وموضوعيتها تماماً، وهي في الواقع استنساخ انفعالي للزمان والمكان، وتبعية محضة لأحداث ووقائع تلك المرحلة، والتي لا يمكن أن تنسجم مع شخصية هذا الفيلسوف المبدع والكبير.

ولا بد أن نذكر بأن هنالك مشكلة أخرى التي تعاني منها فلسفة كانط السياسية[٣٠]، هي التشتت والتكرارية، واضطراب المتن في بعض الأحيان، ونحن نلاحظ بأن فيلسوفنا كانط أنه قد كتب رسائله ومقالاته السياسية في بداية بلوغه الستين من العمر وعلى مدى أربع عشرة سنة ونرى في هذه الكتابات موضوعات تتكرر في كل مقال أو فصل ذي صلة بالسياسة، وحينما كان ينبري كانط لكتابة موضوع في السياسة، كان يصب كل ما في ذهنه، في قالب ذلك الموضوع فلم يكن ينظم أفكاره ويبوبها ثم يسطرها على شكل أبواب وفصول، وعليه فما يعرف بـ"الفلسفة السياسية الكانطية" عبارة عن عشرة نصوص قصيرة وطويلة، لو تم تنظيمها لكشفت عن آرائه السياسية أوضح أن كانط كان

يتابع الشأن السياسي والأحداث الاجتماعية السياسية التي كانت حاضرة آنذاك في عصره باهتمام بالغ ودقة كبيرة، ولو لم يكن هذا لما كتب شيئاً في السياسة، ويمكن من خلال استقراء وتقويم السجل العلمي والفلسفي لهذا الفيلسوف وتسجيل الموقف العالمي وهو ان انشداده الأكبر كان نحو الفلسفة النظرية وفلسفة الأخلاق فالعمل الذي قام به كانط بشكل جاد وعميق ومنهجي في فلسفته النظرية (النقد الأول) وفلسفة الاخلاق (النقد الثاني) وفلسفة الجانب العملي بكامل صورها قد قدمت مواقف إيجابية أو سلبية في حقل الفلسفة السياسية.

لذلك يعدبعض اللا انسجام الداخلي، والتأثير التأريخي (الزماني والمكاني) يشكلان تهديداً جاداً لبعض التعاليم السياسية الكانطية من حيث الرصانة الموضوعية والنظرية والشمولية أضف إلى ذلك أن حالة التشتت والتبعثر واللا تنقيح التي تعاني منها نصوص هذه الفلسفة السياسية تحول دون ظهور نظام نظري منسجم ومنهجي وعضوي في قالب رسالة قيمة واضحة، وعلى هذا الأساس يمكن أن نستنتج بأن المذهب الفلسفي الكانطي فيه أفكار سياسية ضمن اطار مشتت وغير منسجم، ولا نجد نظرية الحكومة كما يذهب إليها كانط في نص أو أمر واحد منسجم، ويمكن أن نجد نموذجاً لمثل هذه النصوص التي يعبر عنها بـ"نظرية الحكومة" في "التنين" لتوماس هوبز كنموذج لعصر الحداثة و"نظرية العادلة" لجون رولز كنموذج للقرن العشرين، على الرغم من النقد الذي يوجه لفلسفة كانط السياسية، إلا أن النصوص العشرة التي تؤلف فلسفته السياسية، تعد تراثاً قيماً يضم في وجهه الغالب أفكار قيمة ما وراء زمانية ومكانية تتميز بعنصري الموضوعية والشمولية، والحق يقال إن فلسفة كانط السياسية –مثل أي فلسفة سياسية أخرى– لا تقدم وصفة خاصة لإدارة المجتمع والسياسة، لأن هذا من اختصاص علم السياسة، لكن تعاليمه في هذا المضمار تساعد على حل عقدة المجتمع المدني وسجل أعمال الحكومة المدنية، نظراً لما تتميز به من شمولية وكلية[٣١].

فقد أورد كانط في فلسفته السياسية تقريباً جميع المفاهيم والعناصر، اللازمة في نظرية الدولة وان كان ذلك بصورة مبعثرة وغير منسجمة، وهذه المفاهيم والعناصر هي: علم الانسان، فلسفة التاريخ، الحق، القانون، الحرية، المساواة، العدل، الاستقلال، مصدر

السلطة وهيكليتها، الملكية، المال، حقوق المواطنة، العلاقات الدولية، السلام والحرب، استخدام القوة، التمرد، العصيان، الثورة، العلاقة بين مؤسسة العلم ومؤسسة السياسة، العلاقة بين مؤسسة الدين ومؤسسة السياسة وغيرها إلا أنه لم يسعنا الوقت من البحث فيها بهذا البحث المختصر وكان هذا الاستخدام الكبير لهذه المفردات وتداخلها هو من صنع الرأي الناقد لفلسفة كانط السياسية الشائكة(٣٢).

ولكن نستطيع أن نقول وبكل تواضع أن الأنظمة والمؤسسات التي حاول كانط أن يقدمها في رؤياه السياسية وما يعتقد هو تتمتع بكمية عالية من القوة العقلانية والثبات والحداثة، بحيث يمكن استخدامها في عصرنا هذا، في هندسة الحكومة المدنية وتشييدها، وتصون الحكام والشعب من آفات وسلبيات السلطة السياسية.

ولذلك نرى بأن فلسفة كانط السياسية قد تركت تأثيراً عظيماً على المجتمع والفلاسفة والسياسيين وكبار المفكرين، وهذا نجده واضح عند (جون ستيوارت مل) مروراً بالقرن التاسع عشر وصولاً إلى (ميشيل فوكو) و (جاك دريدا) و (يوغن هابرماس) و (ليونار) (٣٣).

هوامش البحث ومصادره:

(١) ديورانت، ولي: لذات الفلسفة، ترجمة عباس زرياب، النشر العلمي والثقافي، ١٩٧٧، الطبعة الأولى، نقل بتصرف، الجزء الثاني، ص٧٤١.

(٢) ديورانت، دبل، تأريخ الحضارة، روسو والثورة، ص٧٤٤.

(٣) ينظر: برتراند رسل، الفلسفة الحديثة، ص٢٧٢-٢٧٤.

(٤) ديورانت، ولي: لذات الفلسفة، ترجمة عباس زرياب، النشر العلمي والثقافي، ١٩٧٧، الطبعة الأولى، نقل بتصرف، الجزء الثاني، ص٧٤١.

(٥) ديورانت، دبل، تأريخ الحضارة، روسو والثورة، ص٧٤٤.

(٦) الدكتور السيد علي المحمودي، فلسفة كانط السياسية (الفكر السياسي في حقلي الفلسفة النظرية وفلسفة الاخلاق)، دار الهادي، تعريب عبد الرحمن العلوي، ص٥-١١.

(٧) ينظر: المصدر نفسه، ص١١، نقل بتصرف.

(٨) ينظر: المصدر نفسه، ص١٦٨.

(٩) المصدر نفسه، ص١٦٩.

(١٠) هنري توماس، دانالي توماس، احداث خالدة في الفلسفة، ترجمة احمد شهسا، مطبعة فقنوس، ١٩٨٥، ص٣٧.

(١١) بدوي، عبد الرحمن، إيمانويل كانط، فلسفة القانون السياسي، مطبعة القاهرة، ص٨٧-٨٨.

(١٢) المحداوي، علي عبود، الفلسفة السياسية، الرابطة العربية الاكادينية للفلسفة، دار الروافد الثقافية، ص١٤٠.

(١٣) نفس المصدر، ص١٤٠-١٤١.

(١٤) الدكتور السيد علي المحمودي، فلسفة كانط السياسية (الفكر السياسي في حقلي الفلسفة النظرية وفلسفة الاخلاق)، دار الهادي، تعريب عبد الرحمن العلوي، ص٢٠٩-٢١٦.

(١٥) ينظر: نفس المصدر، ص٢٠٩-٢١٦.

(١٦) ينظر: نفس المصدر، ص٢١٦-٢١٨.

(١٧) ينظر: نفس المصدر، ص٢١٦-٢١٨.

(١٨) الدكتور السيد علي المحمودي، (الدين، حدود الدين والعقل)، الأعلمي، بيروت، لبنان، نقل بتصرف.

(١٩) ينظر: المصدر السابق، ص٢٠٧.

(٢٠) المحداوي، علي عبود، الفلسفة السياسية، الرابطة الأكاديمية، نقل بتصرف، دار الروافد الثقافية، ص١٤٢.

(٢١) الدكتور السيد، علي المحمودي، فلسفة كانط السياسية، ص٢٠٨-٢١٠.

(٢٢) فوكو، ميشيل، حول (ما هو التنوير) لكانت، ترجمة هماوين فولاذ، مجلة القلم العدد ٢٢، ١٩٩٠.

(٢٣) برلين، ايزايا، أربع مقالات في الحرية، ترجمة محمد علي موحد، مطبعة الخوارزمي، ١٩٨٩.

(٢٤) نفس المصدر، نقل بتصرف، ص٢٠-٢٨.

(٢٥) المحداوي، علي عبود، الفلسفة السياسية، ص١٤٥.

(٢٦) كانط، ايمانؤيل، مشروع للسلام الدائم، ترجمة عثمان امين، دار المدى للثقافة والنشر، العراق-سوريا-لبنان، ص٢٩.

(٢٧) ينظر: المصدر السابق، ص٢٩-٢٠.

(٢٨) المحداوي، علي عبود، الفلسفة السياسية، ١٤٦-١٤٧.

(٢٩) كابلتون، فردريك، تأريخ الفلسفة، من ولف إلى كانط، ترجمة اسماعيل سعادت، ج٦، ١٩٩٦، نقل بتصرف، ص٣٨-٤٢.

(٣٠) الدكتور السيد، علي المحمودي، فلسفة كانط السياسية، نقل بتصرف، ص٥٦١-٥٧٢.

(٣١) فولاند، عزة الله، الفلسفة السياسية الكانطية، العقل في السياسة، بيروت، الطبعة الأولى، ص د هـ.

(٣٢) ينظر: نفس المصدر، ص د هـ و.

(٣٣) الدكتور السيد، علي المحداوي، فلسفة كانط السياسية، نقل بتصرف.

المصادر

١. ايمانؤيل كانط، مشروع للسلام الدائم ترجمة عثمان أمين دار المدى للقفاغة والنشر (العراق – سوريا – لبنان).

٢. د. علي عبود المحداوي (الفلسفة السياسية) كشف لما هو كائن، وخوض في ما ينبغي للعيش معا، الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة دار الروافد الثقافية.

٣. الدكتور السيد علي المحمودي (فلسفة كانط السياسية) الفكر السياسي في حقلي الفلسفة النظرية وفلسفة الأخلاق.

٤. عزة الله فولاند، الفلسفة السياسية الكانطية العقل في السياسة.

٥. ولي ديورانت: تأريخ الحضارة، روسو والثورة، ترجمة ضياء الدين العقلاني طبعت ١٩٩١ الجزء العاشر.

٦. ميشيل فوكو: حول (ما هو التنوير) لكانط ترجمة همايون فولاذ مجلة القلم العدد ٢٢، ٩٩٠.

٧. ايزايا برلين ك أربع مقالات في الحرية، ترجمة محمد علي موجد مطبعة الخوارزمي ١٩٨٩.

٨. فردريك كابلنون (تأريخ الفلسفة، منذ وولف إلى كانط) ترجمة اسماعيل صادق، ١٩٩٦.

٩. هنري توماس احداث خالدة في الفلسفة (قسم كانط)، مطبعة فقنوس، ترجمة أحمد شهسا ١٩٨٥.